بقلم: آفي شيلون *

موقف مناحم بيغن من الديانة اليهودية

وطن مقدس: مؤسس «الليكود» وموقفه من الدين، وتأثيره على علاقته بـ «أرض إسرائيل الكاملة»

مقدمة

بعد وقت قصير من انقلاب أيار ١٩٧٧، سئل مناحم بيغن (الأب المؤسس لحركة «الليكود») قبيل تولي رئاسة الحكومة الجديدة: ما هو أسلوب القيادة الذي سيعتمده، فأجاب بإيجاز: «هو الأسلوب الاعتيادي، أسلوب يهودي».[١]

وتجلى بعض من ذاك «الأسلوب اليهودي» بأسبقيتين سياسيتين جوهريتين أنتجتهما حكومة بيغن الأولى (١٩٧٧-١٩٨١) صاغتا شكل النظام السياسي في إسرائيل، وأيضا طيلة عقود قادمة. ترتبط الأولى بكتلة «أغودات يسرائيل» الحريدية، التي غابت عن الائتلاف الحكومي منذ ١٩٥٢ (خلال استقالتها من حكومة بن غوريون نتيجة القرار بتجنيد النساء للجيش الإسرائيلي)[٢] وانضمت ثانية لائتلاف حاكم علماني فقط بعدما اعتلى «الليكود، سدة الحكم. بالمقابل حازت «أغودات يسرائيل»، للمرة الأولى بتاريخ الكنيست، على منصب رئاسة اللجنة المالية البرلمانية التي تسيطر على ميزانية الدولة(شلومو لورنس أشغل ذاك المنصب).[٣]

ترتبط الأسبقية الثانية بإسناد وظيفة وزير التعليم، للمرة الأولى في تاريخ الدولة أيضا، لوزير من الحزب الديني – الوطني(المفدال). واصل حزب «المفدال» إشغال هذا المنصب في كل مرة استولى «الليكود» على الحكم بمفرده حتى عام ٢٠٠٠ (كذلك الأمر في فترات طويلة خلال ولاية حكومات نتنياهو أيضًا).

ساهمت حكومات بيغن طيلة سنواته كرئيس وزراء (١٩٧٧-١٩٨٣) بإحداث تغييرات غير قليلة في علاقات الدين-الدولة. تم في نطاق الاتفاق الموقع مع «أغودات يسرائيل» تعديل

* أكاديمي وباحث في «تاريخ الشعب اليهودي».

ساهمت حكومات بيغن طيلة سنواته كرئيس وزراء (١٩٧٧-١٩٨٣) بإحداث تغييرات غير قليلة في علاقات الدين- الدولة. تم في نطاق الاتفاق الموقع مع «أغودات يسرائيل» تعديل الاتفاق بين بن غوريون والقيادة الدينية الذي قضى بإعفاء ٤٠٠ من طلاب المدارس الدينية من الخدمة العسكرية كحد أدنى، ومن وقتها ارتفع عدد هؤلاء إلى آلاف.

الاتفاق بين بن غوريون والقيادة الدينية الذي قضى بإعفاء ٤٠٠ من طلاب المدارس الدينية من الخدمة العسكرية كحد أدنى، ومن وقتها ارتفع عدد هؤلاء إلى آلاف.[٤] عارض بيغن أيضا تشغيل بثّ البرامج التلفزيونية الإسرائيلية خلال يوم السبت، بدعوى أن الأمر مهم لطابع «الدولة اليهودية»،[٥] ثم قاد عملية لإحباط اقتراح بتشغيل شركة الطيران الوطنية، «الـ - عال» خلال أيام السبت والأعياد.[٦] وهذه هي مجرد أمثلة. بالإضافة لعمليات التشريع، امتاز بيغن أيضا بميوله للمشاركة في الأوجه الفولكلورية للدين. كان بيغن رئيس الوزراء الأول الذي توجه للصلاة في «حائط المبكى» بعد تشكيل الحكومة (منذ قام بذلك تحولت الصلاة في حائط المبكى لطقس لم يجرؤ أحد من رؤساء الحكومات اللاحقين على تفويته). لقد التقطت له صورة وهو يجلس على أرضية الكنيس خلال صلاة «يوم خراب الهيكل»، يقبل أيدي كبار الحاخامات وأكثر من تطعيم خطاباته بمواد من المصادر الدينية. ويبدو أن قلائل فقط سيتحفظون من قول خليفته إسحق شمير بأن بيغن كان رئيس الوزراء الأكثر يهودية في إسرائيل.[٧]

يزعم هذا المقال[٨] أن تعامل بيغن الحنون مع الديانة اليهودية، في نموذجها الأورثوذوكسي، لم ينعكس فقط باتفاقات ائتلافية وبتكلفه الشخصي كرئيس وزراء. رغم أنه لم يكن ملتزما بحياته الشخصية بفرائض اليهودية، فقد كان تعامله مع الديانة - وليس الأيديولوجيا التنقيحية الأصلية من نتاج زئيف جابوتينسكي- هو الذي بلور نظرته لأرض إسرائيل الكاملة ولمشروع المستوطنات، كما هو الحال مع الكثير من قراراته الحاسمة في الشؤون الداخلية والخارجية، منذ أن كان قائدا لمنظمة «الايتسل» وحتى رئاسة الحكومة.

لقد رضع تعامله مع اليهودية بالأساس من سيرته المميزة. بخلاف كثر من أبناء جيله لم يضطر بيغن للتمرد على القيم التقليدية لأسرته حينما تبنى الفكرة الصهيونية، بل واصل المزج الذي اقترحه والده بين الدين وبين القومية. كذلك التضييقات اللاسامية التي كابدها منذ كان صغيرا وشملت طلاء شفتيه بدهن الخنزير عزّزت لديه نظرته لمؤشرات الدين كتعبير عن التشخيص القومي لليهودية.

فور إطلاق سراحه من السجن السوفياتي في ١٩٤١ علم بأن أفراد عائلته -عدا شقيقته راحيل - قد قتلوا على يد النازيين، ما عزز رؤيته التشاؤمية وعبرها تأمل بمكانة اليهود، ودولة إسرائيل لاحقا، في العالم : بهذا المفهوم تميزت نظرته وتوجهاته الدينية بروح أن «الشعب يواجه مصيره وحيدا». علاوة على تحليل مضامين ما كتبه بيغن، فإن المقال معد لكشف أيديولجيته الدينية، أيضا من خلال أدوات تفكير وتحليل اقترحها الباحث اليهودي- الأميركي ماكس كدوشين الذي درس العالم الثقافي للحكماء السابقين بواسطة «مفاهيم قيمية»(Value Concepts).[٩]

إن استخدام «مفاهيم قيمية» مقبول في مجال دراسات الثقافة والأيديولوجيا من منطلق الفرضية بأنه من أجل الاطلاع على الخصوصية الثقافية لفلسفة ما ينبغي الكشف عن مفاهيم أساسية ومصطلحات لا تتجسد بالضرورة علانية وبوضوح إنما بواسطة مصطلحات لغوية، رموز، طقوس وتوجهات فكرية. هذه الأداة معدة لاكتشاف «مقدرات روحية أساسية، تشكّل بتبلورها كـ «مجموع شارات تمييز للثقافة والمجتمع» فـ«مفاهيم قيمية «غير معرفة، أحيانا، بأسمائها المصطلحية الواضحة بالذات، بل تتجلى بأنماط عملية وعادات حياتية ومبطنة داخل نتاجات أدبية في مجتمعها».[١٠]

بخلاف أي مصطلح علمي- نظري واضح، فإن «مفاهيم قيمية»ليست معطاة لتعريفات رسمية ولتحديدات قاطعة، ولكن انكشافها ينبع من أنه بطبيعة الحال «لن ننجح أبدا بالاطلاع على جودة وخبايا هذه الثقافة أو غيرها دون معاينة مصطلحات القيمة التي نحتت على يدها، ومصطلحات القيمة التي وجهّت وقادت شخصيتها وتطورها».[١١]

وحقا، عندما نضيف استخدام هذه الأداة البحثية لمعاينة مجمل سلوكيات بيغن، تصريحاته ومواقفه السياسية والدبلوماسية يتم قبول الزعم التالي : رؤيته الأمنية- السياسية

بخلاف كثيرين من جيل بيغن ممن ولدوا لأهل متدينين واختاروا التمرد على عالمهم التقليدي القديم عند تبنيهم الفكرة الصهيونية لم يكن مطلوبا منه التمرد. والده لم يكن متزمتا وبنفس الوقت ليس علمانيا مطلقا: كان يريد المزج بين الفكرة الوطنية وبين الحفاظ على التراث، بل درس خلال فتوته داخل المدرسة الدينية الخاصة بالحاخام حاييم سولوبيتسكي الذي عارض الصهيونية رغم دعمه للفكرة القومية الحديثة.

الصلبة التي تجسدت بمواقفه في شؤون الخارجية والأمن (التي انعكست من جملة أمور بشكل واضح بقراره مهاجمة المفاعل النووي العراقي في حزيران ١٩٨١ دون الحصول على شرعية وموافقة دولية، إحالة السيادة الإسرائيلية على هضبة الجولان في كانون الأول ١٩٨١، والمبادرة لحرب لبنان الأولى في حزيران ١٩٨٢)، تنقل صدى توجهات فكرية على شاكلة «الشعب يواجه مصيره وحيدا» و«الشعب المختار»،[١٢] كمصطلحات أساسية في الثقافة اليهودية التقليدية. هذا يعني أنه من وحي فهمه بأن إسرائيل تواجه صراعا دائما على وجودها، أنتج أنماطا قيادية تعكس تواصلا قيّميا بينها وبين رواية مصادر التقاليد وكتب التراث اليهودي المتميزة بقصص الملاحقة والخلاص

بيغن وخلفه جابوتنسكي

بشكل منهجي حتى عندما لم يعلل بيغن ذلك برابطة مباشرة لفرائض الديانة. سأعاين في هذا المقال العلاقة بين الأيديولوجيا الدينية لدى بيغن وبين الموتيف المركزي في الأيديولوجيا السياسية عنده- العلاقة مع أرض إسرائيل الكاملة، من أجل تبيان كيف تعامل مع الموروث الديني بصفته أمرا يؤسس للقومية اليهودية الحديثة، ويصيغ القول الفصل في قضايا الخارجية والأمن.[١٣]

علاقته بالدين في فترة «بيتار» والاستيطان الأول

ولد بيغن في ١٦ آب ١٩١٣ كولد وحيد أهله لأسرة تقليدية – صهيونية في بريسك البولندية. سمي مناحم بيغن لأنه في أسبوع ولادته كانوا يقرأون داخل الكنيس فصل «ناحمو «من التوراة.

تبلورت نظرته لهويته اليهودية لحد بعيد بتأثير أبيه، زئيف-دوف، الذي كان ناشطا صهيونيا في البلدة. وفي شهادتها تقول شقيقته، راحيل «كنت أسمع في البيت حديثا يقول إنه إذا رغب أحد الزوجين الهجرة إلى صهيون والثاني لا يريد فإن الطلاق مسموح لأن اليهودية فوق كل قصص الحب».[١٤]

بخلاف كثيرين من جيل بيغن ممن ولدوا لأهل متدينين واختاروا التمرد على عالمهم التقليدي القديم عند تبنيهم الفكرة الصهيونية لم يكن مطلوبا منه التمرد. والده لم يكن متزمتا وبنفس الوقت ليس علمانيا مطلقا: كان يريد المزج بين الفكرة الوطنية وبين الحفاظ على التراث،[١٥] بل درس خلال فتوته داخل المدرسة الدينية الخاصة بالحاخام حاييم سولوبيتسكي،[١٦] الذي عارض الصهيونية رغم دعمه للفكرة القومية الحديثة.

نشب نزاع في ١٩٠٤ بين زئيف دوف وبين الحاخام. رغب زئيف دوف بإحياء ذكرى هرتسل داخل الكنيس المحلي لكن سولوبيتسكي عارض. كرد فعل قام زئيف دوف بكسر قفل باب الكنيس بواسطة بلطة كي يقيم فيه طقس إحياء الذكرى. عبّر هذا العمل عن طريق الوسط التي اختارها للمسير في تعامله مع التوتر بين الدين وبين القومية: من جهة واحدة هو

وحسب شهادة يسرائيل الداد، صديق بيغن، فإن الأخير تميز بنظرته المؤيدة للعالم الديني وهو شاب، ولم ير في الصهيونية حركة ثورية تتطلع للتمرد على العالم اليهودي القديم، بل مرحلة طبيعية متقدمة ضمن مسلسل التاريخ اليهودي المتصل اتصالا وثيقا بالدين والقومية.

قد خرق حظر الحاخام ومن جهة أخرى أصّر على أن إقامة احتفالية إحياء الذكرى للقائد الصهيوني ينبغي أن تتم داخل الكنيس. استعاد بيغن في فترة مراهقته هذه القصة كقدوة لرؤية جديرة للعلاقة بين الدين وبين القومية.[١٧]

كابد بيغن في فترة الفتوة مضايقات لاسامية، وفي إحدى المرات حاولوا كما قال بشهادته «حاولوا طلي شفتي بدهن خنزير. حاربتهم بقوة ونجحت».[١٨] منذ ذاك الوقت تعمقت وازدادت الأهمية التي أولاها للشارات الدينية اليهودية وكأنها تعكس الخصوصية القومية : حرص بيغن في المرحلة الثانوية وفي الجامعة على عدم التدخين وألا يدرس أيام السبت.[١٩] في الـ ١٦ من عمره انضم لحركة «بيتار» بعدما أصغى لخطاب زئيف جابوتنسكي («بيتار» مأخوذة من رؤوس أقلام عبرية تعني «بيت يوسيف ترومبيلدور» أحد قادة الصهاينة الذي قتل في الجليل الأعلى في عشرينيات القرن الماضي).

وحسب شهادة يسرائيل الداد، صديق بيغن، فإن الأخير تميز بنظرته المؤيدة للعالم الديني وهو شاب، ولم ير في الصهيونية حركة ثورية تتطلع للتمرد على العالم اليهودي القديم، بل مرحلة طبيعية متقدمة ضمن مسلسل التاريخ اليهودي المتصل اتصالا وثيقا بالدين والقومية.[٢٠] بالإضافة لاستكمال دراسة الحقوق في جامعة وارسو ، كثف بيغن نشاطه في حركة «بيتار»، وتم في ١٩٣٩ تعيينه كممثل «بيتار» في بولندا. عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية هرب بيغن من وارسو لفيينا سوية مع قاة «بيتار» الكبار. في أيلول ١٩٤٠ ألقت المخابرات السوفييتية القبض على بيغن حينما كان يختبئ داخل قرية قريبة من فيينا، ولاحقا حكم عليه بالسجن ثماني سنوات لإدانته بالمشاركة في عمل سري كيدي – صهيوني. يقول بيغن في مذكراته إنه أخذ معه الكتاب الأقرب لقلبه، التوراة.[٢١] هذا رغم أنه حسب بروتوكولات التحقيق التي كشف عنها بسنوات التسعين بعد تفكك الاتحاد السوفييتي فقد كان بحوزة بيغن كتاب السيرة للدكتور يزراعئيلي، وقاموس ألماني – إنجليزي.[٢٢] بين هذا وذاك، وفيما يتعلق بموضوع هذا المقال، فإن المهم هو حاجة بيغن للتشديد على أن التوراة هو الكتاب الأعز على قلبه. حرص بيغن داخل السجن على الصوم في يوم الغفران والاحتفاء بالأعياد اليهودية.[٢٣] أطلق سراح بيغن في العام ١٩٤١ (بعد اتفاق بين الجيش البولندي والجيش السوفييتي يتم بموجبه تجنيد الأسرى البولنديين للجيش البولندي في إطار وحدة «جيش أندروز» بهدف القتال المشترك ضد النازية). علم بيغن عندما كان في طريقه لمعسكر الجيش البولندي بأن أبناء عائلته- عدا شقيقته راحيل- قتلوا على يد النازيين. من وقتها صارت المحرقة عبرة شخصية وقومية بالنسبة له لفهم علاقات الأغيار – اليهود. وقال بيغن ليسرائيل وباتيا الداد إنه عقب قتل أبناء عائلته رأى بذاته وكأنه صاحب رسالة حتمية بقضاء الله وقدره : «(. . .) ساعدته القدرة الالهية. لم ننج هكذا عبثا. لدي رسالة».[٢٤] في نيسان ،١٩٤٢ وصل مع وحدته لأرض إسرائيل.[٢٥] بموازاة وظيفته العسكرية، كتب مقالات في صحيفة الحركة التنقيحية «هامدريخ»، والتقى مع ناشطي حركة «الايتسل» وأعضاء «بيتار». عندما التقى بيغن مع عضو «بيتار» مناحم بوخفيتس فوجئ الأخير باكتشافه أن الأول حرص على إقامة الشعائر الدينية ولم يسافر أيام السبت.[٢٦]

وبعد ضغوط تعرض لها في نهايات ١٩٤٣ من قبل رجالات الحركة التنقيحية مئير كاهن ويوحنان بادر ، اللذين حصلا على شهادة قانونية لتسريحه من الجيش، تم تعيين بيغن قائدا لـ منظمة «الايتسل»- التي كانت تواجه وقتها مفترق طرق من ناحية قدراتها التنفيذية.[٢٧] رغم أن أغلبية قراراته كقائد للمنظمة لامست بطبيعة الحال الأبعاد السياسية والعملياتية، فإن أنماط قيادته تميزت أيضا بالتعامل الإيجابي مع الدين. في قراره المبكر في كانو الثاني ١٩٤٤ بالإعلان عن إطلاق تمرد عنيف على الحكم الانتدابي،[٢٨] حدد في دستور الحركة أنه بعد إنجاز الهدف، إقامة دولة، تعمل الحكومة اليهودية على تجذير قدسية رموز التوراة في حياة الشعب المحرر داخل وطنه.[٢٩] بل إن بيغن غالبا ما أمر رجاله الامتناع عن نشاط عسكري ميداني (عملياتي) خلال أيام السبت، وعرّف في مذكراته جنود المنظمة السرية بـ «المؤمنين» وقد جاء في كتابه: «وكانت المحافظة على التراث تقليدا قديما في منظمة الايتسل منذ أيام دافيد رازئيل

بيغن: تدشين رئاسة الوزراء بصلاة في حائط البراق

الذي كان مؤمنا ابن مؤمن. كلنا آمنا. لقد آمنا بملاذ إسرائيل ومخلصها. آمنا برسالتنا وبعدالتنا. دون الإيمان الكبير الذي عشش في قلوبنا لما كنا قادرين على القتال. ونحن أيضا كنا مؤمنين أبناء مؤمنين، ورغم أننا عرفنا أن حربنا هي حرب فريضة دينية متاحة بالسبت أيضا، فضلنا بشكل عام إسكات سلاحنا في أيام السبت، لأن مبادرة الهجوم كانت بالأصل بيدنا. عرف البريطانيون ذلك أو تعلموه».[٣٠]

(يشار أنه حسب كتاب «يزكور» الصادر عن منظمة «الايتسل» (وهو كتاب صدر لتخليد مقاتلي المنظمة الذين سقطوا قبيل ١٩٤٨ – المترجم) فإن ربع جنودها انتسبوا للجمهور المتدين الوطني أو الحريدي، وإن كانت هذه المعطيات تتطرق أيضا إلى الجنود الذين جاءوا من عائلات دينية تركت تديّنها).[٣١]

شدد بيغن كقائد على عمليات عبرّت عن أهمية الرموز الدينية حتى عندما كانت قيمتها العملياتية قليلة. هكذا على سبيل المثال العمليات الأولى في ولايته، «عملية الجدار» التي تطلعت لتمكين المصلين اليهود من ممارسة طقس النفخ بالبوق في يوم الغفران (عملية أراد البريطانيون منعها خوفا من أعمال شغب ومواجهات بين عرب ويهود على خلفية دينية).[٣٢]

اعتقد قسم من أعضاء قادة «الايتسل» أن هذه عملية رمزية، ولذا فهي زائدة، لكن بيغن قرر أنها معدة (. . .) لـ «إزالة العار الذي فرضته حكومة القمع على آخر بقايا استقلالنا في الماضي، على حائط المبكى- رمز قدسية البلاد».[٣٣]

ترمز هذه العملية إلى ميل بيغن إلى فكرة «التفسير الجديد»[٣٤] لرموز الدين، لأنه من جهة واحدة هو أمر بالقيام بعملية هدفها السماح بإقامة طقس ديني، ولكن من جهة أخرى وأمام أعضاء القيادة تطرق بأقواله للطقس الديني كمعبّر عن طموح للسيادة القومية. هذا يعني أن بيغن لم يتطرق لحائط المبكى كتعبير عن فرائضه العبادية الطقوسية بل كرمز للسيادة اليهودية في فترة الهيكل الثاني، وبذلك هو شحن واحدا من أسس الواقع اليهودي التقليدي بمضمون وطني. تشكّل نظرة بيغن لحائط المبكى مثالا واضحا على الطريقة التي رغب بيغن بها تأسيس موروث وطني جامع من خلال توثيق العلاقة بين علم الآثار، الدين والقومية. وتطابقت بذلك نظرته مع نظرة قادة حركات قومية آخرين، في القرنين التاسع عشر والعشرين، الذين استعانوا بمكتشفات أثرية بغية بنائها كمورد ثمين لتبرير القومية.[٣٥]

استغل بيغن خلال ١٩٤٤، بسبب الحاجة للاختباء من البريطانيين إلمامه بصلوات اليهودية عندما اختار تبني الصورة المزورة للحاخام يسرائيل سسوبر، ومكث بهذا القناع أياما كثيرة داخل كنس.[٣٦] في نهاية ١٩٤٤، عندما قرر رؤساء المؤسسات القومية بقيادة دافيد بن غوريون البدء بخصومات مع بقية المنظمات اليهودية السرية «سازون»[٣٧] وهي عملية استهدفت تحطيم قوة الايتسل والليحي، أمر بيغن رجاله بالامتناع عن الرد وعدم مهاجمة أفراد «البلماح» (القوى الضاربة التابعة للهغاناه). وبرر بيغن قراره هذا بالقول على مسمع أعضاء القيادة :«(. . . .) من شأنه أن ينتج وضعا جديا لا نعرف كيف نتصرف فيه بحكمة وحذر فنجر لحرب أهلية».[٣٨] إن مجرد تعريفه للنزاع بين المعسكرات داخل المشروع الاستيطاني اليهودي كخطر لـ «حرب بين أشقاء» لا كحرب بين مواطنين- في نهايات عمره اعتبر القرار كأهم قرار في حياته[٣٩]– يدلل على فهمه للشعب اليهودي كوحدة عضوية لا يجوز انتهاكها، وذلك وفق مفهومه للقومية اليهودية من منظار الرؤية التي تولي قيمة وأهمية لعراقة الأمم، بتأثير القومية «الاندماجية» التي تضع ذاتها فوق كل القيم وتشدد على الوحدة والطاعة كقيمة عليا.

رضعت هذه القومية من الحركة الرومانسية خلال القرن الثامن عشر،[٤٠] التي نتجت كرد فعل على حركة التنوير والعقلانية، وشددت على العودة للماضي القديم، للطبيعة وفضلت العاطفي على العقلاني- وعلى خلفية هذه السمات رغبت بإيجاد الخاص والمختلف والمتميز بكل قومية. ورأى منظرو القومية الاندماجية بالتفاصيل المكونة للقومية وحدة واحدة مرتبطة برباط غير منفصم مع الماضي، الحاضر والمستقبل المشترك وأرادوا تنمية شعور بالانتماء على أساس الأصل، الوطن والتاريخ المشترك، ووجدوا بالأساس البيولوجي، العرقي المشترك لأفراد الأمة مركبا مهيمنا في صياغة القومية.[٤١]

علاوة على الاعتبارات السياسية (بالأصل طبعا لم يكن بمقدور منظمة الايتسيل التغلب على قوات البلماح، وقد زادها ضبط النفس شعبية لدى اليهود في المستوطنات)،[٤٢] يمكن قراءة قرار بيغن الامتناع عن الرد على رجال البلماح كانعكاس لرؤيته اليهودية التقليدية على شاكلة «إسرائيلي يبقى إسرائيليا حتى لو أخطأ».[٤٣] هذا يعني أن اليهودي باق جزءا من الأمة ومن الجمهور الديني حتى وإن كانت أفعاله تسيء لها. يشار أن التفسير الديني لهذا الموقف متعلق بيهود استبدلوا دينهم عنوة وصدر حكم بأنهم يبقون يهودا بكل الأحوال بينما بيغن منح لهذا الحكم الديني تفسيرا قوميا حديثا عندما تطرق لخطأ اليهودي الذي سلم ابن شعبه للبريطانيين، وعدم الإساءة للدين بالتالي. وهذا أيضا مثال للمزج الذي ساد في نظره بين المعنى الديني وبين المعنى القومي. حتى الناحية الاصطلاحية لدى بيغن كانت مشبعة بمصطلحات مأخوذة من المصادر الدينية اليهودية، فقارن بين من لاحق أعضاء الايتسل وبين خطيئة قايين مقابل هابيل.[٤٤]

مكانة الوطن في السياق الديني: قبل حرب ١٩٦٧

مبكرا، منذ بدء الاستيطان ومن بين مجمل كافة معاركه السياسية والأيديولوجية، كان مطلبه بالحفاظ على بقاء الوطن كاملا موتيفا مركزيا في فعالياته، ويجسد هذا المطلب استخلاصه الراسخ جدا المرتبط بموقفه من الدين. صحيح أنه طيلة سنوات نشاطه علل حق الشعب اليهودي على أرض إسرائيل الممتدة على ضفتي نهر الأردن بتسويغات سياسية واحتياجات أمنية،[٤٥] لكن التسويغ المركزي والمنتشر جدا في ما يتعلق بنظرته للبلاد منغرس بالحق الديني للشعب على بلاده المثبت بالتحالف الذي أبرمه الله مع شعبه كما جاء في المصادر الدينية. رغم أنه عقب جابوتنسكي، تطابقت حدود الوطن الجغرافية مع قرار عصبة الأمم في أيلول ١٩٢٠ (ولذلك شملت الضفة الشرقية من الأردن)[٤٦]- فقد طالب بها باسم الوعد الالهي الذي منح للشعب الإسرائيلي كما جاء في عهد «البيتاريم».[٤٧]

تحت عنوان «قدسية سلامة الوطن» شرح موقفه في مقاله حينما كان قائدا لــ الايتسل :

«(. . . .) باسم الوعد الالهي الذي منح لأب الأمة، باسم مقدسات إسرائيل من جيل إلى جيل ممن ضحوا بأرواحهم من أجل بلاد صهيون وخلاصها، باسم أبطال إسرائيل من جيل إلى جيل ممن قاتلوا وسقطوا من أجل تحرير الوطن من نير الغرباء، باسم الشعب المعذب على أجياله ممن أخلصوا لبلادهم في سبعين جالية، بسيرهم بالنار وبالماء- باسم قتلى المملكة ممن أعدموا وهم يغنون للوطن وعيونهم ترنو للخلاص الكامل للوطن. . . باسم حقه التاريخي غير القابل للاستئناف. . . فإن تقطيع أوصال الوطن هو غير شرعي. . . حيل المستعبد البريطاني الخائن، حسابات الدول العظمى الغريبة، أفعال الخيانة للمصابين بالانبهار بعيونهم- كل هؤلاء نرفعهم لله، والعدل التاريخي سيتم ويتحقق».[٤٨]

هذا يعني أن الله وعد الشعب بأرض إسرائيل وهذا وعد مقدس وغير قابل للانتهاك وكل محاولة للمساس به تشكل «خيانة» لإرادة الله. أيضا في خطابه بمناسبة إقامة الدولة في ١٥ أيار ١٩٤٨ تطرق للوطن كحق طبيعي وأبدي، ينبع من الوعد الالهي. «(. . . .) والوطن تكامل تاريخي وجغرافي. من لا يعترف بحقنا على هذا الوطن كله لا يعترف بحقنا على أي قسم منه. ونحن لن نتنازل عن حقنا الطبيعي والأبدي. سنحمل حلم الخلاص الكامل ونحققه. لأن الناموس العالمي هو : إذا مر خط فاصل أو قام أحد بتمريره بين دولة قومية وبين وطن واحد فإن هذا الخط الاصطناعي محكوم عليه بالاندثار».[٤٩]

بهذه الكلمات تكشف بعد لاهوتي عميق يتمثل بالتعبير «ناموس العالم» الذي يدلل على إيمان أن أرض إسرائيل تعود للشعب اليهودي استنادا لشرعية موجودة خارج التاريخ «الواقعي»، ولذا كما جاء في أقواله السابقة فإن تطورات تاريخية وسياسية تسببت بسلب حق الشعب على بلاده هي مؤقتة ولن تقوى على مواجهة «الناموس العالمي».[٥٠] كقائد حرية طالب الحكومة العمل من أجل توسيع حدود السيادة، وكما نفى حق البريطانيين بترسيم حدود الوطن فإنه نفى شرعية قيام حكومة بن غوريون بأن تحسم لوحدها موضوع حدود البلاد- «(. . . . .) من خولكم لمنع الجيش الإسرائيلي من احتلال كل أرض إسرائيل ؟ تساءل في الكنيست.[٥١]

تجلى مثال آخر للبعد اللاهوتي في نظرته لحدود البلاد في خطابه بعد عملية سيناء(العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦).

في الواقع، ضمن تعامله مع أرض إسرائيل تجلى أن بيغن تمسك باللاهوت السياسي» عبر استخدام وإنتاج تشكيلة قيم تشمل كل رموز الدين وطقوسها من أجل منح الشرعية لموقفه السياسي، فيما تكون النتيجة هي تحول المزاعم العلمانية لمقدسة، وقيم دينية تدمج في الخطاب العلماني.

زعم بيغن مقابل انسحاب إسرائيل من سيناء تحت ضغط الدول العظمى أن أنه لا مكان للاكتراث بالرأي العام الدولي وبضغط الدول العظمى لأن الحق على البلاد يستند على أمر إلهي أبدي:«(. . . . .) الحكومة الجديدة التي ستتشكل على يد تلاميذ زئيف جابوتنسكي ستمثل أمام البرلمان وتطلب من معظم أعضائه منحها الثقة وتعلن باسم المكان واسم آبائنا المقدسين وأبنائنا الأبطال. . . على مسمع كل شعوب المعمورة أن حق شعب إسرائيل على أرض إسرائيل الكاملة تاريخيا لن ينتهك وليس قابلا للاستئناف على يد أي احتلال أجنبي. هذا حق الهي، حق أبدي وبعون الله سنحققه. . . ».[٥٢]

في الواقع، ضمن تعامله مع أرض إسرائيل تجلى أن بيغن تمسك باللاهوت السياسي»[٥٣] عبر استخدام وإنتاج تشكيلة قيم تشمل كل رموز الدين وطقوسها من أجل منح الشرعية لموقفه السياسي، فيما تكون النتيجة هي تحول المزاعم العلمانية لمقدسة، وقيم دينية تدمج في الخطاب العلماني.

نظرة بيغن لـ «المناطق» بعد ١٩٦٧

نتج خلال أيار ١٩٦٧ وخلال أيام الانتظار لحرب الأيام الستة تضافر أحوال وظروف سياسية وجماهيرية للمرة الأولى، هي ليست من ضمن الاهتمامات المباشرة لهذا المقال، أتاحت انضمام «جاحل» (كتلة أقيمت في ١٩٦٥ نتيجة توحيد بين حيروت وبين الحزب الليبرالي) للحكومة. في ٠٥/ ٠٦/ ١٩٦٧ تم تعيين بيغن وزيرا بلا حقيبة في حكومة الوحدة الوطنية برئاسة ليفي أشكول. لم يكن بيغن مشاركا في الخطط العسكرية ولكن خلال جلسات الحكومة ربط ربطا بارزا بين الحرب وبين التراث اليهودي. كان احتلال المناطق قد شكّل لحظة مؤسسّة في المسيرة السياسية لبيغن، فهي منحت الشرعية السياسية لمواقف اعتبرت راديكالية أو غير ذات صلة في النظام السياسي في إسرائيل حتى ١٩٦٧.

اقترح بيغن في نهاية الحرب تسميتها «حرب الخلاص»، حسب الاصطلاحية التقليدية، بدلا من تسميتها «حرب الأيام الستة»،[٥٤] وقد نعت جنرالات الجيش الإسرائيلي كـ مكملي طريق يهودا همكابي،[٥٥] ونعت الضفة الغربية بتسميتها التوراتية (يهودا والسامرة)، وبخطاباته تطرق للمناطق المحتلة كـ «موروث الآباء» وليس فقط كمنطقة جغرافية تمتاز بأهمية استراتيجية- أمنية.[٥٦]

ردا على استجواب قدمه عضو الكنيست أوري أفنيري حول إقامة المستوطنات في المناطق، شدد بيغن على «(. . . .) الحاجة لبناء بلدات في كل أرض إسرائيل»، وهذا دون علاقة لاعتبارات أمنية – سياسية إنما من منطلق الاعتراف بأنها «(. . .) مدن أرض إسرائيل التي وعدت بها ذرية إبراهيم».[٥٧]

في جلسة خاصة لكتلة «غاحل» في القدس بعد الحرب نعتها بيغن بالمصطلح المستعار من فكرة الخلاص المسيائية «حرب الفداء والخلاص»، وأوضح أنه لا يتخيل «(. . . .) ولو للحظة أو بكلمة واحدة تسليم شبر واحد من بلادنا التي منحت لآباء آبائنا للأبد، لحكم أجنبي أيا كان».[٥٨]

كذلك استلهم بيغن الدين في رده على الادعاء بتعرض إسرائيل لمشكلة ديمغرافية بحال بسطت سيادتها على كل أرض إسرائيل (بعد شمل السكان العرب في نطاق المنطقة السيادية لإسرائيل). من أجل دحض القلق الديمغرافي استخدم الوعد الالهي لتجميع الجاليات بتحديده أن «(. . . .) وعد الله تعالى بتجميع اليهود من كل أرجاء الدنيا وهذا ما سيحدث في جيلنا»[٥٩] (ومع ذلك لا بد من الإشارة إلى أنه بالمفهوم العملي قد تطرق للإمكانية المشتهاة وقتها بفتح باب الاتحاد السوفييتي لليهود).[٦٠]

لم تتغير القدسية التي أولاها بيغن لأرض إسرائيل حينما صار رئيسا للحكومة. في خطاب العرش في حزيران ١٩٧٧ قال بيغن في الكنيست: «(. . . .) تلقينا الحق على بلادنا من إله آبائنا. . . أرض إسرائيل هي تحفة الآباء، بلادنا الوحيدة التي تشبثنا بها جيلا بعد جيل. لم نبرحها ولم نقطع علاقتنا بها يوما. صلينا عليها واشتقنا لها وأحببناها «من كل قلبنا «. . جلينا عنها وعدنا لها مؤمنين. . . ».[٦١]

علل بيغن بهذه الروح في الكنيست العاشرة الالتزام بأرض إسرائيل: «(. . . .) من أين جاء حقنا على منطقة من مناطق

أرض إسرائيل؟ أسوأ كارهي إسرائيل ينفون حقنا على أرض إسرائيل أو على كل قسم منها. هل نمكنهم من محو ماضينا الذي يعتبر الأساس، أساس أسس حقنا ؟».[٦٢]

تعتبر هذه القطعة من خطابه ذات أهمية موجزة لفهم نظرته للوطن كتعبير عن نظرته للدين، بسبب اختياره مصطلح «أساس الأسس».

يرتبط هذا المصطلح مع الجملة الافتتاحية في الكتاب العلمي الأول للعلامة «الرمبام «مشنيه لتوراه» (تفسير التوراة) الذي يستخدم مصطبح «أساس الأسس» من أجل التعبير عن الحاجة للاعتراف بالواقع وبحقيقة الله. يدلل هذا التوظيف الذي يقوم به بيغن لهذا المصطلح في سياق النظرة للوطن إذن على قدسية الوطن اللاهوتية والشرعية بسبب وعد الرب به للشعب.[٦٣]

يمكن تعريف قدسية أرض إسرائيل على طريقة النفي أيضا – هذا يعني أنه تنازل عن كل طموح جغرافي في مناطق لم ترد في خريطة أرض إسرائيل التوراتية.

نبع اتفاق السلام مع مصر الذي وقع في آذار ١٩٧٩ من جملة أسباب وظروف ليست من ضمن اهتمامات هذا المقال، لكن أحد تسويغات بيغن البارزة للاستعداد للانسحاب من سيناء كان مرتبطا برؤيته الدينية التي رضع منها الفهم بأن سيناء ليست جزءا من أرض إسرائيل كما وعد بها شعب إسرائيل من قبل الله.[٦٤]

وأوضح بيغن لمستشاره هاري هوروفيتس أن استعداده التنازل عن سيناء يضعف الضغط الدولي على إسرائيل من أجل إعادة أقسام من تراب الوطن التي وردت في الوعد الالهي- يهودا والسامرة وغزة- وبذلك هو يساهم في العدل التاريخي.[٦٥]

تلخيص : الثيولوجيا السياسية لدى مؤسس الليكود

لم تكن الصهونية بالنسبة لبيغن حركة ثورية إنما حركة استمرارية، تشكّل فصلا لا ينفصل عن التراث اليهودي. وفيما لم يكن ملتزما بكل الفرائض الدينية- بل بالأساس بتلك التي تجسد التعبير القومي- فقد اقترح رؤية قومية قريبة بروحها لتلك الخاصة بالصهيونية الدينية التي تعتبر المصادر الدينية التراثية التبرير لوجود الشعب، وتعترف بوجود الله كعامل غيبي خارق يرافق مسيرة الشعب. نشط بيغن طيلة عقود من قيادته للحزب وللدولة لزرع رؤيته وتوريثها، وبموجبها فإن المركب المؤسس ضمن إنتاج ثقافة مشتركة للإسرائيليين غير كامن بتأسيس «يهودي جديد» منفصم عن التراث، وليس بإنتاج إطار أرض إسرائيل جديدة – بل بتوفير وعي مشترك في نطاق فكري لقيم تقليدية مشتركة لكل المتمسكين بها، أي الديانة اليهودية.

تمت ممارسة بيغن لهذه التوجهات في ولايته كرئيس حكومة بواسطة تغذية متكررة بين مؤسسات الدولة العلمانية وبين المؤسسات الدينية وبواسطة خطابات وقرارات في مجالات داخلية وخارجية مزجت فيها تسويغات ومصطلحات من الديانة اليهودية مع الحياة الإسرائيلية العامة خاصة في ما يتعلق بالنظرة لأرض إسرائيل الكاملة، والتي تحولت أيضا لأمر يعرّف الهوية التقليدية واليهودية.

بالمجمل، يمكن القول إنه مقابل الخيارين السياسيين المركزيين اللذين صاغا الحركة الصهيونية منذ ثلاثينيات القرن العشرين، خيار معسكر العمال بقيادة بن غوريون، وخيار المعسكر التنقيحي بقيادة زئيف جابوتنسكي، فإن بيغن ورغم طرح نفسه كمكمل طريق جابوتنسكي واعتباره «مرشدنا ومعلمنا»[٦٦] فقد اقترح نمطا قياديا استقلاليا ومميزا. لقد نفى بيغن المحاولة المعروفة لدى بن غوريون لوضع خط فاصل مباشر بين «البلماح» وبين التوراة، وسعى لدمج قيم الدين القديمة وصهرها في الشعب الإسرائيلي المتجدد، وأيضا كما تبلورت في المنفى، ولكن بنفس الوقت شذّ عن الفكرة التنقيحية الأصلية في النظرة للدين. رغم كونه علمانيا فإن تعريفه إقامة الدولة كـ «بداية الخلاص»[٦٧] ساعد بتثبيت نمط قياديته بوصفها ترضع من «النصوص الدينية (الثيولوجيا) السياسية» بما يشبه الفهم الصهيوني- الديني لـالحاخام أفرهام كوك.[٦٨]

بذلك، هنالك فرق بين الأيديولوجيا التي أرشدته، وبين تلك التي اقترحها جابوتنسكي. فمع أن دعمه لفكرة أرض إسرائيل الكاملة عبر سياسات خارجية وأمن متصلبة هو استمرار للفهم التنقيحي الأصلي، فقد منحه تسويغات ثيولوجية.

هكذا مثلا، فيما كان جابوتنسكي يطالب بأرض إسرائيل التاريخية بفعل قرار عصبة الأمم في أيلول١٩٢٠ (ولذا فقد شملت الضفة الشرقية من الأردن)،[٦٩] طالب بيغن بذلك بفعل الوعد الالهي، حيث تم هذا الوعد لشعب إسرائيل بالعهد بين «البيتاريين».[٧٠] بشكل عام، يمكن القول إنه فيما كان تثبيت المواقف السياسية المتصلبة لدى جابوتنسكي وإرساؤها بالفكر الهوبسياني كما جاء في مقاله «الإنسان للإنسان ذئب»، فإن توجهات «اعتماد الشعب على ذاته وقوته» لدى بيغن قد بلورت رؤيته الخاصة بالأرض والجغرافيا.

(ترجمة من العبريّة: وديع عواودة)

الهوامش

١ مناحم بيغن، مقابلة مع يعقوب أحيمئير، **أرشيف التلفزيون الإسرائيلي** ١٩٧٧/٥/٣٠

٢ «أغودات يسرائيل»، كانت كتلة مشاركة في الحكومة المؤقتة وفي الحكومة الأولى، الثانية والثالثة (١٩٥٢-١٩٤٨).

٣ أرييه ناؤور، **بيغن في الحكم**، (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، ١٩٩٣)، ص ٥١.

٤ حتى صعود بيغن إلى الحكم، لم يثبت ترتيب «توراته شغله» في الاتفاقيات الائتلافية، وإنما في قرارات الحكومة ووزير الأمن فقط. وكانت بداية هذا النظام، رسميا، بأمر صدر عن يسرائيل جليلي في ٤٨/٣/٩ إلى وحدات الجيش، يتم بموجبه إعفاء طلاب المدارس الدينية من الجندية. القرار بمنح رفض لتجند طلاب المدارس الدينية بشكل منظم صدر عن رئيس الحكومة ووزير الأمن بن غوريون، وذلك نزولا عند طلب ممثلي الأحزاب الدينية داخل الحكومة وممثلي جمهور الحريديم. وكان التعبير الرسمي لهذه السياسة قد تجلى في مذكرة أرسلها بن غوريون، في ٥١/١/٩، إلى مدير وزارة الأمن وقائد الجيش. وقد كُتبت فرضيات كثيرة حول استعداد بن غوريون لمنح إعفاء من الخدمة العسكرية ليست من شأن هذه الدراسة هنا، ولكنه من المرجح أنه لم يكن ينوي أن يتوسّع الإعفاء، مع مرور الأيام، ليشمل آلافا من الشباب. أدّت الاتفاقات الائتلافية الخاصة بحكومة بيغن الأولى إلى خرق «توراته شغله» من خلال ثلاثة بنود أساسية تم توقيعها مع «أغودات يسرائيل» وهي: أ. ألغيت الحصة المحدّدة لعدد المنضمين سنويا إلى ترتيب «توراته شغله» من بين طلاب المدارس الدينية؛ ب. منح خريجو المدارس الدينية المهنية والمؤسسات التعليمية المشابهة، ولكل طالب استكمل امتحان التوجيهي في التلمود بمستوى خمس وحدات، إمكانية الانضمام إلى ترتيب «توراته شغله»؛ ت. منحت الفرصة لمن يتبّع نمط حياة دينيّ متشدّد للانضمام إلى ترتيب «توراته شغله». أنظر : دولة إسرائيل، «اللجنة لبلورة الترتيب الجدير في موضوع تجنيد أبناء المدارس الدينية- تقرير»، نيسان ٢٠٠٠، ص ١٩-٢٥. **موقع الكنيست، مركز بحث ومعلومات**،
http://www.knesset.gov.il/mmm/papers.asp, 30/08/2012

٥ يوسف بورغ، **أرشيف الدولة**، ١٩٩٤/٥/٥، وثيقة رقم ٣٢/١٥٥٤٠

٦ الجلسة التاسعة والسبعون للكنيست العاشرة، ٣ أيار ١٩٨٢، **موقع الكنيست**.
http://knesset.gov.il/tql/knesset_new/knesset10/, 17/8/2013.

٧ اسحق شامير، **أرشيف الدولة** ١٩٩٥/١/٣، وثيقة رقم ٣٢/١٥٥٤٠

٨ المستند على فصل من أطروحتي لنيل لقب الدكتوراه وعنوانها «موقف قادة الحركة التنقيحية من الديانة اليهودية»، ٢٠٠٥-١٩٢٥، وقد تمّ تقديم الأطروحة في شباط ٢٠١٤ إلى كلية العلوم السياسية في جامعة بار إيلان.

٩ Max Kadushin, The Rabbinic Mind, New York: Binghamton University, ١٩٧٢, pp ٧٦-٨٤ ومن المهم التذكير بأن موطي زاعيرا أيضا استخدم هذه الأداة في دراسته حول علاقة رجالات الاستيطان العمالي مع الثقافة اليهودية (موطي زاعيرا، **ممزقون نحن: علاقة الاستيطان العمالي في سنوات العشرين بالثقافة اليهودية**، (القدس: بن تسفي، ٢٠٠٢).

١٠ كما أن أفرهام هولتس استخدم هذه الأداة. أنظر : أفرهام هولتس، **في عالم فكر حكماء إسرائيل**، (تل أبيب: مكتبة العمال، ١٩٧٨)، ص ٢٣.

١١ هولتس، **في عالم فكر حكماء إسرائيل...**، ص. ٩٣.

١٢ الشعائر الدينية اليهودية مليئة بإشارات إلى مبدأ الشعب المختار: مثلا، في التقديس، في تبريكات «الصعود إلى التوراة» ([...] «الذي اصطفانا من كل الشعوب») وفي تبريكات الفجر([...] «الذي لم يخلقني من الأغيار») وفي صلوات «علينا المديح» ([...] «الذي لم يخلقنا كأغيار البلدان. . . ممن يسجدون للأباطيل ويصلون لإله غير مخلّص....»).

١٣ مردخاي كرنيال، **بيغن- صورة قائد**، (القدس: رؤفين ماس، ٢٠٠٠)، ص. ٢١-٢٢. يصف كرنيال كيف طلب بيغن استيضاح مكانة التسوية السياسية في التوراة، ومنها استخلص أن الإنسانية تتطور بفضل هؤلاء الذين لم يساوموا وحاربوا من أجل مبادئهم.

١٤ راحيل هلفرين، **أرشيف مركز تراث بيغن**، وحدة الشهادات، حزيران ٢٠٠٠. من المرجح أن أقواله، في هذا السياق، استمدت من موقف الحاخام يهودا هليفي الذي حدد في كتابه "كتاب الخوزاري" أنه من المسموح الطلاق في حال أن أحد الزوجين يرفض الهجرة إلى أرض إسرائيل. من هنا يمكن الاستنتاج فيما يتعلق بالتربية على مركزية أرض إسرائيل في المفهوم القومي لدى بيغن. أنظر: الحاخام يهودا هليفي، **كتاب الخوزاري** (ترجمه إلى العبرية يهودا بن تيفون)، (القدس ١٩٧٠)، فقرة ٢٢.

١٥ ينسب يوحنان بادر، في مذكراته، تأثيرا عظيما لعدم الاكتراث الذي ساد في بيت والدي بيغن حيال الدين على نظرة بيغن إلى الدين في سنوات قيادته الحزب. ويقول أن عقلانية بيغن خضعت لإيمانه العميق، الصوفي تقريبا. وكان جوابه عن السؤال من هو اليهودي قاطعا ومختلفا عن جواب جابوتنسكي، وهو متيم بذكريات نمط الحياة الديني في بيت والده. يوحنان بادر، **الكنيست وأنا**، (القدس: «عيدانيم»، ١٩٧٩)، ص. ٢٨٤. وأنظروا أيضا :
Avi Shilon, Menachem Begin: A Life, (New Haven: Yale University Press, 2012), pp 8-14.

١٦ Shilon, Menachem Begin … , p. 3

١٧ أفيعيزر غولان، وشلومو نكديمون، بيغن، (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، ١٩٧٨)، ص ١٣.

١٨ حاييم كورفو، **أرشيف مركز بيغن**، وحدة الشهادات ٢٠٠٠/٦/٢١

١٩ حاييم كورفو، **أرشيف مركز بيغن**، وحدة الشهادات ٢٠٠٠/٦/٢١

٢٠ يسرائيل الداد، **أرشيف الدولة** ١٩٩٣/١٢/٨ وثيقة رقم ٣٢/١٥٥٤٠.

٢١ مناحم بيغن، **في الليالي البيض**، (تل أبيب: دفير ١٩٩٥)، ص ١٢

٢٢ ملف التحقيق الخاص بمناحم بيغن، **أرشيف جابوتنسكي**، وحدة ف ١٤/-٢٠.

٢٣ بيغن، **في الليالي البيض** ، ص٧١-٦٧.

٢٤ باتيا الداد، **أرشيف الدولة**، ١٩٩٤/١/٩ وثيقة رقم ٣٢/١٥٥٤٠

٢٥ لشرح مسهب أنظر: بيغن، **في الليالي البيض** ، ص ١٧١-١٣٤.

٢٦ شهاداة مناحم بوخفيتس، هعير ١٩٩٢/٤/١٧.

٢٧ يعقوب ماركوبيتسكي، **القائد- مناحم بيغن كقائد منظمة غوريلا مدينية**، (القدس: كرمل وتراث بيغن، ٢٠١٢)، ص ٤٣-٣٧

٢٨ مناحم بيغن، **المرشد**، أيار ١٩٤٣ جزء ج، رقم ١٤.

٢٩ حول إعلان التمرّد الذي أصدرته منظمة الايتسل بعنوان: «إلى الشعب العبري المقيم في صهيون»، انظروا ماركوبيتسكي، القائد- **مناحم بيغن كقائد...**، ص. ٧٧-٦١، ويرد الإعلان في الصحيفة السرية حيروت، العدد ٢٦، ١٩٤٤/٢/٦.

٣٠ مناحم بيغن، **الثورة**، (تل أبيب: أحي اساف، ١٩٧٧)، ص. ١٤٥

٣١ يعقوب هاطمان (محرر) **ذكراهم مخلدة : كتاب ذكرى لأبطال الايتسل**، (تل أبيب : دار النشر شيلح)١٩٥٨. يشار إلى أن طريقة تصنيف المقاتلين تمت بشكل مستقل وليس بحثيا. هكذا على سبيل المثال، أدرج المقاتلون الذين ولدوا لأهل متدينين تحت التصنيف «متدينون»، وكذلك أيضا من تعلّم في طفولته في «الكتّاب» تم تصنيفه كمتدين، حتى وإن لم يحافظ على فرائض الدين في بقية حياته- ولكن مع ذلك، يمكن التعلم حول العلاقة بين المتدينين الكثر وبين العمل السري بقيادة بيغن.

٣٢ بيغن، **الثورة**،... ،ص ١٣٣- ١٣٦.

٣٣ بروتوكولات قيادة الايتسل، تموز- تشرين الثاني ١٩٤٤، **معجم تاريخ الصهيونية**، الجزء الرابع، (تل أبيب : جامعة تل أبيب والكيبوتس الموحد، ١٩٧٦)، ص. ٣٩٥-٣٩٦.

٣٤ حول توجه «التفسير من جديد» لرموز الدين كجزء من تجذّر الديانة المدنية في إسرائيل أنظر :
Charles S. Liebman and Eliezer Don-Yehiya , Civil Religion of Israel: Traditional Judaism and Political Culture in the the Jewish State, (University of California Press, 1983).

٣٥ لشرح مسهب حول صيانة النصب التذكارية التاريخية والأثرية في الحركة الوطنية، أنظر: ألونا نيتسان- شيفطان، "هناك حجارة مع قلب بشري: حول النصب التذكارية، حداثة ومحافظة في حائط المبكى»، **تيؤوريا وبيكورت**، ٣٨-٣٩ (شتاء ٢٠١١)، القدس: فان لير، ص ١٠٠-٦٥.

٣٦ مئير كاهان، أرشيف الدولة، ١٩٩٤/١/٩ وثيقة رقم ٣٢/١٥٥٤٠

٣٧ حول فترة الخصومات بين المنظمات الصهيونية في فترة الانتداب كُتبت دراسات وكتب كثيرة. أنظر: يهودا لبيدوت، **موسم الصيد - اصطياد الإخوة**، (تل أبيب: معهد جابوتنسكي ١٩٩٤)؛ يعقوب شافيط، **موسم الصيد- هـَسازون**، (تل أبيب: هدار، ١٩٧٦)، وشرح في كتاب بيغن، الثورة، تل أبيب: أحي أساف ١٩٥٦)، ص. ٢١١-١٨٩.

٣٨ «بروتوكولات قيادة الايتسل، تموز – تشرين الثاني ١٩٤٤»، **في الصهيونية**، الجزء الرابع، (تل أبيب: جامعة تل أبيب والكيبوتس الموحد، ١٩٧٦)، ص ٤٢٩.

٣٩ **هآرتس**، ١٩٨٢/٢/٩.

٤٠ حول الحركة الرومانسية وتأثيراتها كُتبت كتب كثيرة، أنظر مثلا: يعقوب طلمون، **الرومانسية والتمرد، أوروبا ١٨١٥-١٨٤٨**، (تل أبيب، دار نشر عام عوفيد، ١٩٧٣)؛ يشعياهو برلين، جذور الرومانسية، (تل أبيب: عام عوفيد، ٢٠٠١).

٤١ Frederic P. Miller, Agnes F. Vandome, John McBrewster, Integral Nationalism, (Germany: VDM Publishing, ٢٠١٠).

٤٢ Shilon, Menachem Begin … , p ٧٠-٨٠.

٤٣ فتاوى دينية خاصة بالحاخام ومفسر التوراة الحاخام شلومو يتسحاقي «راشي».

٤٤ «أنت تثور غضبًا يا قايين؛ في شوارع القدس، في أزقة تل أبيب، في المدينة، في المستوطنة والقرية يتجوّل آلاف من رسلك. . . ونحن جنود صهيون عيوننا ترنو اليوم أيضا- خاصة اليوم – إلى محبة الإخوة، إلى خلاص الأمة، إلى سلام داخلي وإلى حرب خارجية». كتب بيغن هذا المنشور، أنظر: مناحم بيغن، **في العمل السري**، الجزء الأول، (تل أبيب : هدار، ١٩٥٨)، ص. ٢٢٣-٢٢١.

٤٥ آرييه نأور، **أرض إسرائيل الكاملة**- الإيمان والسياسة، (حيفا: جامعة حيفا ودار النشر زمورا بيتان، ٢٠٠١)، ص. ٨٠.

٤٦ نأور، **أرض إسرائيل الكاملة...** ، ص ٨٠-٨١؛ وأيضا عاري جابوتنسكي، **زئيف جابوتنسكي/ خطابات، ب**، (القدس، ١٩٥٧)، ص ٢٥٧-٢٥٨. وحول نظرة الحركة التنقيحية إلى حدود أرض إسرائيل كما تم تحديدها في اتفاق سايكس بيكو في ١٩١٦ بين فرنسا وبريطانيا وصودق عليها من قبل عصبة الأمم عام ١٩٢٠، أنظر أيضا آفي شلايم، **الجدار الحديدي**، (تل أبيب:يديعوت أحرونوت، ٢٠٠٥)، ص. ٣٤٤.

٤٧ نأور، أرض إسرائيل الكاملة...، ص. ٦٦-٦٧. حسب عهد «البيتاريم «قال الله لإبراهيم «لذريتك منحت هذه البلاد، من نهر مصر حتى نهر الفرات الكبير (سفر التكوين إصحاح ١٥، آية ١٨).

٤٨ بيغن، في العمل السري...، ص. ٧٩-٨٠

٤٩ بيغن، الثورة،... ،ص. ٥٠٩-٥١٠.

٥٠ أرييه نأور، «أيديولوجيا مناحم بيغن في فترة تأسيس حركة حيروت»، في أبراهام ديسكين (محرر) من ألتيلينا حتى الآن، (القدس: كرمل وتراث بيغن، ٢٠١١)، ص ٥٥.

٥١ حيروت، «أرض إسرائيل الكاملة لنا»، ١٩٤٩/٠٤/٣٠.

٥٢ حيروت، ١٩٥٦/١٠/٥، «نص الخطاب الكامل الذي ألقاه بيغن في مستهل المؤتمر الرابع لحركة حيروت».

٥٣ المصطلح «ثيؤولوجيا سياسية «يعكس جاهزية لاستيعاب تشكيلة قيم دينية في المفهوم السياسي والقيام بتوظيف رموز الدين وقيمه لغرض منح الشرعية للموقف السياسي. هكذا يحولون مزاعم علمانية إلى مزاعم مقدسة، وتدمج قيم دينية في الخطاب العلماني. أنظر شروحات:
J.Milbank Theology and Social Theory: Beyond Secular Reason, (Oxford: Blackwells, 1990).
يعرّف دافيد أوحانا، بالاعتماد على كريستوف شميدت، « الثيولوجيا السياسية «كاستخدام مقصود لمصطلحات دينية من أجل وصف تحرير الإنسان، بالذات، من قيود الدين لصالح قيم وطنية ومدنية. ويشير إلى بن غوريون كمن استخدم مصطلحات دينية بهدف تغليب تفوّق الدولة ومؤسساتها وقيمها على قيم التراث الديني لليهود. بهذا المفهوم، تكون الثيولوجيا السياسية لدى بيغن مختلفة من تلك لدى بن غوريون، لأنه لم تكن لديه نيّة لـ «استغلال «قيم الدين لصالح القومية بل خلق نوع من الانسجام بينها». للتوسّع حول بن غوريون، أنظروا : دافيد أوحانا، «المسيحانية العلمانية كثيولوجيا سياسية: حالة بن غوريون، في كريستوف شميدت (محرر)، الله لن يخرس : الحداثة اليهودية والثيولوجيا السياسية، (القدس: معهد فان لير، ٢٠٠٩)، ص. ٢٠٤-٢٢٠.
ومن المهم التذكير بأن باحثين آخرين، من بينهم عاموس فونكينشطاين، يصفون هذه الظاهرة كـ «ثيولوجيا علمانية»، لأن رجالات الثقافة والعلم الحديث استخدموا الرموز الدينية الفلسفية منذ فترة العصور الوسطى- لا سيّما ما يتعلق بحضور الرب في كل مكان في العالم- وصبوا فيها معاني دنيوية، وبذلك أبطلوا البعد المقدس بالذات من خلال استخدام أدوات ثيولوجية. أنظر:
Amos Funkenstein, Theology and Scientific Imagination, (Princeton: Princeton University, 1986)
وللإطلاع على دراسة حديثة إضافية عن الثيولوجيا السياسية، أنظروا:
Mark Lilla, The Stilborn God: Religion, Politics and the Modern West, (New York: Columbia University, 2007).

٥٤ توم سيغف، ١٩٦٧، (القدس: كيتر، ٢٠٠٥)، ص ٤٧٣.

٥٥ يحيئيل كديشا، **أرشيف مركز تراث بيغن**، ٢٠٠٢/٢/٢

٥٦ توم سيغف، ١٩٦٧....، ص ٣٨١.

٥٧ **هآرتس**، ١٩٦٩/١/٩

٥٨ **هآرتس**، ١٩٦٧/٦/١٥

٥٩ **هآرتس**، ١٩٦٨/١١/٢١

٦٠ أنظر، مثلا، خطاب بيغن في المؤتمر العالمي من أجل يهود الاتحاد السوفييتي، القدس، ١٩ آذار ١٩٨٣»[...] لدينا مبرر للاعتقاد بأنه كما حدث في الماضي، ستفتح الأبواب وسينضم يهود الاتحاد السوفييتي إلينا في دولة إسرائيل. العدالة ستنتصر. هذا معتقدي. شأن يهود الاتحاد السوفييتي الذين يتطلع مئات الآلاف منهم إلى العودة للبيت، سينتصر في نهاية المطاف. أرشيف الايتسل وثيقة ٤٦٧/٦٧.

٦١ **أرشيف الكنيست**، ١٩٧٧/٦/٢٠، الجزء ٨٠ ص. ١٥؛ نأور، **أرض إسرائيل الكاملة...** ،ص. ١٧٣.

٦٢ نأور، **أرض إسرائيل الكاملة...** ،ص. ٢٠٥.

٦٣ قدّم هذا التشخيص مشكورًا أرييه نأور. وقد ورد المصطلح لدى العلامة الرمبام، في كتاب «مشنيه توراة»، شرائع توراتية أساسية ، أ، أ.

٦٤ شموئيل كاتس، **أرشيف الدولة**، ٢٠,٨,١٩٩٣ وثيقة رقم ٣٢/١٥٥٤٠. على الرغم من موقف بيغن، لا بد من التذكير بأن قضية حدود أرض إسرائيل في المصادر اليهودية هي قضية مركبة وليس لها وجهة واحدة متجانسة. الأدبيات الحاخامية، على سبيل المثال، تميز بين «حدود مهاجري مصر»أي المملكة في فترة الهيكل الأول» وبين «حدود مهاجري بابل» في فترة الهيكل الثاني. ولكن، في جميع الأحوال فإن الأهم هو الشكل الذي طلب فيه بيغن تعريف الحدود بموجب التقاليد. أنظر، على سبيل المثال، المصطلح «أرض إسرائيل» في الموسوعة التلمودية، (القدس: ياد هراف هرتسوغ، ١٩٤٦)،

٦٥ هاري هوروفيتس، **أرشيف الدولة**، ١٩٩٣/١١/١٥ وثيقة رقم ٣٢/١٥٥٤٠.

٦٦ تمار بروش، **خطاب لكل وقت**، (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، ١٩٩٣)، ص ١٥٣-١٦٢.

٦٧ **أرشيف الكنيست** ١٩٥٨/٤/٢٢/ http://www.daat.ac.il/daat/ezrachut/ begin/tohen.ht , ٥,٢٠١٣/١/.

٦٨ نأور، «أيديولوجيا مناحم بيغن في فترة تأسيس حركة حيروت...»، ص. ٤٥.

٦٩ نأور، «أيديولوجيا مناحم بيغن في فترة تأسيس حركة حيروت...»، ص. ٨١-٨٠؛ وأيضا عاري جابوتنسكي، زئيف جابوتنسكي/ خطابات، ب، (القدس، ١٩٥٧)، ص ٢٥٧-٢٥٨. وحول نظرة الحركة التنقيحية إلى حدود أرض إسرائيل كما تم تحديدها في اتفاق سايكس بيكو في ١٩١٦ بين فرنسا وبريطانيا وصودق عليها من قبل عصبة الأمم عام ١٩٢٠، أنظر أيضا آفي شلايم، الجدار الحديدي، (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، ٢٠٠٥)، ص. ٣٤٤.

٧٠ نأور، أرض إسرائيل الكاملة...، ص. ٦٦-٦٧. حسب عهد «البيتاريم «قال الله لإبراهيم «لذريتك منحت هذه البلاد، من نهر مصر حتى نهر الفرات الكبير(سفر التكوين إصحاح ١٥، آية ١٨).